

دراسة هويتي "المهجن والتابع" في رواية "ثلاثية غرناطة" لرضوى عاشور على ضوء آراء هومي بابا وسيفاك

على أكبر ملايي^١، سميرا حيدري رادي^٢

١- أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية بجامعة ولي العصر (عج)، رفسنجان، إيران.

٢- طالبة الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة يزد، إيران.

تاريخ القبول: ١٤٠١ / ٩ / ٢٠

تاريخ الوصول: ١٤٠١ / ٤ / ٢١

الملخص

يعدّ الأدب ما بعد الكولونيالي من المجالات المتعدية الحديثة التي ظهرت في خمسينيات من القرن العشرين وبلغت ذروتها في السبعينيات وأولّين أهمّ دواعي هذا الحقل من الأدب، عنايته بأداب مستعمرات واجهت تداعيات الاستعمار بأنواعها المختلفة. هويتنا المهجّنة والتابعة من المفاهيم الرئيسة في الدراسات ما بعد الكولونيالية؛ فاهتمام رضوى عاشور بجدلية الأنا والآخر، ظاهرة الهجنة وأزمة الهوية، صراع التابعات أمام الاستعمار المزوج يبرهن على مقاومته المثقفة ضد الاستعمار في الإطار الأدبي. أمّا الغرض لرئيس البحث فهو التعرف إلى إيدولوجية الكاتبة في صعيد الملامح عما الاستعمارية لأهمّ ترسم ظاهرة الاستعمار ومدى إرهاباتها على المستعمرين. ونظراً إلى أنّ السرديات ما بعد الكولونيالية تدور حول هذه المحاور، اعتمدنا على منهج النقد ما بعد الكولونيالي والمنهج الوصفي-التحليلي لتطبيق ملامح النقد ما بعد الكولونيالي على رواية "ثلاثية غرناطة" لرضوى عاشور حسباً لنظريات هومي بابا وسيفاك من نظري الأدب ما بعد الكولونيالي. أمّا فرضية الباحثين؛ فهي العلاقة بين رواية "ثلاثية غرناطة" والنظرية ما بعد الاستعمارية علاقة متبادلة ورغم أنّ تاريخ الرواية وظهور النظرية مسافة من الزمن فإنّ الرواية تبدو وهماً للإشكالية التي يمثّلها سببها بما هو أهمّ النتائج التي توصلت إليها فهي؛ إنّ الصراع الثقافي واللغوي والديني بين الأنا والآخر تسفر عن ظهور ظاهرة التهجين التي تتجلّى في الطرد، والقبول، والتفكيك والمحاكاة. الاختلاط بين العرب والثقافة يؤدي إلى إيجاد لغة "البيدجين" في الرواية. تتفق رضوى عاشور مع رأي سيفاك القائل بأنّ التابعة ليست

بإمكانها التّكلم إلاّ إذا توفّر لها فضاء التعبير الذي يتهيأ بواسطة المجتمع الاستعماري والذكوري.

الكلمات الرئيسية: الأدب ما بعد الكولونيالي، المهجّن، التابع، ثلاثية غرناطة، رضوى عاشور

١. المقدمة

الاستعمار هو هيمنة الدول الكبيرة على البلدان الضعيفة والاحتفاظ على سيطرتها بشتّى الطُّرُق منها؛ السياسية والاقتصادية والثقافية والجنسية. ويهدف إلى أن يحوّل هوية البلدان المستعمرة إلى هوية المستعمّر ليقترب من أغراضها العنصرية منها؛ اللغوية والثقافية والاقتصادية. علاوة على هذا؛ إنّ للكاتب دوراً كبيراً لتجسيد التداخليات ما بعد الكولونيالية في أعمالهم الأدبية. الأدب ما بعد الكولونيالي كمرآة تعكس مصائب المجتمع الفادحة. والرواية هي نوعٌ أدبيٌّ تدور حول ملامح كلّ عصرٍ، لأنّها تجسّد الأحداث التي تجري في الفترات التاريخية.

وللأساس ما بعد الكولونيالية لم تقتصر على حقبة ما بعد الاستعمار بل امتدّ المفهوم ليطاول كلّ ما يتأثر بهذا السياق الأميركي «منذ لحظة الاستعمار وحتى يومنا الحاضر» أي أنّه «يعني بالعالم كما وجد ويوجد خلال وبعد السيطرة الأميركية الأوروبية، وبالأثار المترتبة من جراء ذلك على الأدب والثقافة المعاصرة» (السادة، ٢٠٠٩: ٩). تهدد الدراسات ما بعد الكولونيالية إلى تصحيح نظرة المستعمّر الاستعمارية للشعوب المستعمّرة ونقد النخب الوطنية المندمجة أو المطالبة بالاندماج مع المستعمّر والمنهضة بثقافته وأدبه وأسلوبه في الحياة.

إنّ الفترة التي تعيش فيها الكاتبة المصرية رضوى عاشور فهي فترة تعجّ بالضحج والضوضاء والفساد طيلة الاستعمار لمعتباته. لذلك نلاحظ أنّ الكاتبة بذلت قصاري جهودها لتجسّد ظاهرة الاستعمار وإرهاصاته في روايتها الرائعة فهي؛ «ثلاثية غرناطة». أمّا غرضنا الرئيس فهل تعرّف على إيديولوجية الكاتبة في مجال القضايا ما بعد الاستعمارية لأنّ الكُتبتور في الرواية المذكورة ظاهرة الاستعمار ومدى تأثيراته على المستعمّر في المجالات المختلفة منها العقائدية والثقافية والسياسية. «إنّ طرح قضايا المرأة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية يتّسم بطابع الجدبة عندما تتخذ الكاتبات محوراً لبطولة قصصهن ومحوراً للصراع، وفي امتزاجهن ككاتبات مع الشخصية الرئيسة في الرواية للتعبير عن صراعها وصراعهنّ في آن واحد، بهذا الشكل تنجح الكاتبات في رسم صورة المرأة يصورن فيها علاقاتها بذاتها وبالآخرين» (نيكويخت وآخرون، ٢٠١٢: ١٢٠).

أمّ القضية الرئيسة التي تؤدّي إلى إلقاء البحث الحاضر فهي معالجة رؤية نقدية للكاتبة المصرية خلال تحليل الملامح الاستعمارية. والكاتبة المصرية رضوى عاشور في إحدى رواياتها المسماة «ثلاثية غرناطة» تتحدّث عن ثنائية «الأنا

والآخر، "هوية التابع والمهجر" نُسِمَتِ الرواية بـ"ثلاثية غرناطة"؛ هذا العنوان يدلّ على "المكان" وهو الغرناطة التي سُدِّ قَطِطَتْ في الأندلس خلال المعاهدة التي جرت بين أبي عبدالله الصغير وملك أراجون. تناولت هذه الرواية الضخمة برهة تاريخية عاشتها أسرة أبي جعفر الوراق المسلمة، تتحدّث رضوى عاشور بدقة عن جميع الظروف الاجتماعية واللمسية والدينية التي عاشها المسلمون في غرناطة، تتصوّر المرأة الكاتبة المعاناة التي كانت يعيشها المسلمون في تلك البرهة التاريخية. تتناول رضوى عاشور الحوادث بشكلٍ يُشعر القارئ كأنّه جزء منها، وتنتهي إلى قرار آخر أبطال الرواية مخالفة قرار الترحيل، ويكتشف أنّ الموت هو الرحيل عن الأندلس.

تقلنا نظراً لـ"ثلاثية غرناطة" تركز على المكان مباشرة. والمكان يعبر قبل كل شيء عن العرق والهوية. اهدكتها غلاف الرواية أنّه يتمثل صورة امرأة ذات شعرٍ مجعدٍ كثيفٍ أسود ووجهٍ حزينٍ حدّق في عيني مخاطبها. هذه الصورة التي تكون في مركز الغلاف تدلّ على الوجهين: الأول؛ أنّ الكاتبة رضوى عاشور تشير إلى دور النساء الرئيسة في الأهلوية. والثاني؛ الغلاف يبرهن على الصلة الوثيقة بين المرأة والمكان. هذه الصلة ترتبط ارتباطاً وثيقاً مع الأدب ما بعد الكولونيالي. الكاتبة تدعو المرأة إلى المركز كما نشاهد في غلاف الرواية صورة المرأة كلّ فضاء الغلاف وهذه الشمولية المكانية تدلّ على دور المرأة الأساس وفعاليتها في الرواية ويمكننا الإشارة إلى المسائل المهمة التي تطرح في النظرية ما بعد الكولونيالية وهي الهوية، التابع، المركز والهامش.

في هذه الدراسة نريد الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما هي أهم ملامح "التهجين" في رواية «ثلاثية غرناطة»؟

٢. كيف يتجلّى الآخر "التابع" في رواية «ثلاثية غرناطة»؟

أمّا الفرضيات الرئيسة للمقال المدروس فهي:

العلاقة ما بين "ثلاثية غرناطة" والنظرية ما بعد الاستعمارية علاقة متبادلة ورغم أنّ بينهما مسافة من الزمن فإنّ لرواية وصف للإشكالية التي يمثّلها هومي بابا وسيفاك. الرواية تدور حول الصراع بين العرب والقشتاليين في ممالك الأندلس؛ هذا الصراع يشكل فضاءً بين العوب والقشتالة. ويشير إلى الفضاء الثالث الذي يتحدّث عنه هومي بابا في دراساته بعد الكولونيالية. نلاحظ ظاهرة التهجين التي تتجلّى في قضية الدين، اللغة والثقافة حتى تنتهي إلى ظهور الهوية المهجّنة.

رضوى عاشور من الكاتبات التي تهتمّ بالقضايا ما بعد الكولونيالية في رواياتها؛ دراسات التابع إحدى الدراسات الرئيسة في الأدب ما بعد الكولونيالي وهذه الدراسات ترتبط بالهامشيين. علاوة على الفضاء الثالث وهوية المهجّنين تتّبع هوية التابع ونقوم بتحليل ظهور التابعات في برهة من التاريخ خلال رواية ثلاثية غرناطة.

١-١. خلفية البحث

تنقسم سابقة بحثنا إلى قسمين؛ قسم يرتبط بالبحوث التي تنجز حول رواية "ثلاثية غرناطة" لرضوى عاشور وقسم آخر يشير إلى الدراسات ما بعد الكولونيلية. أمّا القسم الأول فهو:

-مقالة "ثلاثية غرناطة: مقارنة الحاضر دراسة في رواية الروائية رضوى عاشور" (٢٠٠٦م) لزهير محمود عبيدات. تقوم بتحليل الرواية المذكورة من منظور السرد التاريخي للكشف عن الثنائيات المطروحة في الرواية وتبحث عن العالم الداخلي للشخصيات المقهورة معبرة عن آمالها وآلامها تجاه الحرية.

رسالة الدكتوراه المعنونة بـ«ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور، دراسة في التشكيل السردى ومقصديته» (٢٠١٠) أعدتها الباحثة منى سعيد عبد أبو الوفاء بجامعة عين الشمس. انقسمت الدراسة إلى القسمين، تناولت في القسم الأول عناصر تشكيل الخطاب الروائي وقامت الباحثة بتحليل الرؤية السردية والراوي والمروي له ودراسة التشكيل الفني والإيديولوجي.

-أطروحة الماجستير المعنونة بـ«البناء الدرامي التاريخي في روايات رضوى عاشور (٢٠١٠-١٩٩٢)» (٢٠١٤) لخلود إبراهيم عبدالله جراد. جامعة الشرق الأوسط. تتطرق الباحثة إلى دراسة البناء الدرامي-التاريخي في أعمال رضوى عاشور ذات الطابع التاريخي من عام ٩٢ هـ إلى ٢٠١٠ للميلاد. وهي: رواية سراج، رواية ثلاثية غرناطة، رواية قطعة من أوروبا، رواية فرج ورواية الطنطورية.

- أطروحة الماجستير المعنونة بـ«شعرية الوصف في رواية "ثلاثية غرناطة" لرضوى عاشور» (٢٠١٤م) لسومية مهمل تعالج الدراسة بنية الوصف في الرواية وتشرح أنماط الوصف؛ الوصف عن طريق القول والفعل والرؤية. وتوصلت إلى أن للوصف وظائف حكائية ودلالية تؤدي إلى فهم فكرة الكاتبة.

-أطروحة الماجستير تحت عنوان "دراسة التوظيف التاريخي والروائي والبنية السردية في رواية ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور" (٢٠١٦) لويذة برباش. يقوم هذا البحث بتحليل التقنيات السردية في الرواية ويبرهن على أن رضوى عاشور تنظر في روايتها إلى الحقبة التي خرج فيها العرب من الأندلس واتخذت منها قناعاً للحديث عن الواقع العربي. استخدمت الباحثة تقنية القناع لكي تجسّد الصهاينة في صورة القشتال وفلسطين في صورة غرناطة.

-مقالة "تظاهرات الزمن في رواية "غرناطة" لرضوى عاشور (٢٠١٨) لعمر مخلوف. هذا البحث يقوم بدراسة تجليات الزمن في الرواية المذكورة خلال آراء جيرار جينيت ويتناول العلاقات بين الزمن السردى والرواية التاريخية.

-مقالة معنونة بـ«تقنيات السرد الزمني في الرواية التاريخية (ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور نموذجاً)» (٢٠٢١) لصباحية عودة زعرب. تبحث هذه الدراسة عن أهم التقنيات الفنية والدلالية والجمالية التي ارتكزت عليها لإقناع

مخالطت وتهمّت بالأنساب السردية في رواية "ثلاثية غرناطة" ثمّ تشير إلى الاستباق الزمني؛ زمن الحلم للكشف عن أهمية عنصر الزمان في تحليل الرواية.

-مقالة تحت عنوان "الحكي التاريخي واستراتيجيات المقاومة الثقافية في رواية "ثلاثية غرناطة" لرضوى عاشور (٢٠٢١) لأحمد زعزاع. يشير هذا البحث إلى ثنائية الرجل والمرأة في الرواية. ويؤكد على اقتران التاريخ بالمكان والهوية أثناء تقديم الأحداث والشخصيات محاولاً على تقديم نبرة الذات في ردّه على الخطاب الغربي ويعبر عن استعادة لحظات من تاريخ الأندلس من منظور الأنا الواعية.

مما لا يقف عنده البحث فقد تناولت دراسات كثيرة إشكالية الملامح نقد ما بعد الكولونيالي، نذكر منها ما هو قريب من موضوعنا: هناك بحث: "هوية زن شرقي مهاجر در آثار جوميا لاهيري ومهرنوش مزارعي از ديدگاه هومي بابا": دراسة مقارنة بين هوية المرأة الإيرانية والهندية على ضوء نظريات بابا للباحثين أميد ورزنده وسيد رضا ابراهيمي. (المنشورة في مجلة فصلية تخصصية للأدب الفارسي) بجامعة آزاد في سنندج، العدد ١١، ١٣٩١ ش. هذه الدراسة تطبّق آراء هومي بابا على روايات لاهيري ومزارعي وتحاول على تحليل الهوية الكولونيالية في الأدب المعاصر. مقالة معنونة بـ "خوانش پسااستعماري از رمان مردم جولاي نادين گرديمر" لمينو جوان مولاي ورضا ياوريان وهي دراسة الثنائيات الضدية على ضوء نظرية هومي بابا. (المنشورة في فصلية نقد اللغة والأدب الإنجليزي) بجامعة بمبشتي، العدد ٥٥، ١٣٩٢ ش. توصّلت هذا المقال إلى أنّ تواجد الثقافة الجديدة في مكان جديد يؤدّي إلى كشف الهوية الجديدة المعنونة بالهوية المنهجية. مقالة معنونة بـ "الفضاء الثالث في روايات واسيني الأعرج: شطب الحدود وإعادة الكتابة"، ٢٠١٥م، مجلة تبين لدراسات فكرية وثقافية، لخالد العارف. هذا البحث يشير إلى مناقشة وتحليل أشكال حضور الهوية من خلال ثيمات الحب والوطن والمنفي في أربع روايات الكاتب الجزائري واسيني الأعرج. ويبحث "خوانش پسااستعماري تجربه ي مهاجرت در رمان "أصابع لوليتا" اثر واسيني الأعرج از ديدگاه هومي بابا" للباحثين حسن فاتحي فرامرز ميرزائي وبي بي راحيل سن سبلي (دراسة العناصر المنهجية في هذه الرواية الجزائرية على ضوء نظريات هذا المنظر)، المنشورة في مجلة نقد الأدب العربي بجامعة بمبشتي، ٣٩٥ ش. نلاحظ في هذه الدراسة أنّ الرواية تشير إلى أهم عناصر كولونيالية منهجية الأنا والآخر، قضية الهوية والتهجين. مؤلفوها يقومون أوّلاً بتحليل نظريات بابا وثانياً تطبيقها على الرواية. مقالة معنونة بـ "برسي هويت پسااستعماري در رمان "مملكة الفراشة" اثر واسيني الأعرج با تكيه بر ديدگاه هومي بابا" (١٣٩٦)، لحسن فاتحي، بي بي راحيل سن سبلي، مجلة لسان مبین. يشير هذا البحث إلى المشاكل الموجودة في المجتمع الجزائري منها؛ أزمة الهوية، المهاجرة، الثنائيات الثقافية والاجتماعية والدينية في الحقبة ما بعد الكولونيالية. يشرح هذا البحث شخصيات الرواية على أسرار هومي بابا ويتوصّل إلى أنّ الهوية المنهجية

تتجلّى في سعيد الدين، اللغة والجنسية. وبحث "شخصية المرأة في رواية "الطنطورية" لرضوى مصطفى عاشور على ضوء آراء سيفاك" (٣٩٦ش). للباحثين كبري روشنفكر، هادي نظري منظم وسيميرا حيدري راد، في مجلة آداب الكوفة. تعالج الدراسة مفهوم التابع على ضوء آراء سيفاك. بحث "تمثيل هوية التابع في الرواية العربية الجديدة: رواية شيكاجو أمودجا" لمحمد علي آذر شب وفاطمة أعرجي نشر في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، السنة الثامنة، العدد السادس والعشرون سنة (١٣٩٦ش). عالج فيه الكاتبان كيفية صناعة الهويات التابعة وتمثيلها في الوايات وتوصّل إلى أن الهوية صنعة ثقافية وأنّ السرد له إمكانية صناعة الهوية. مقالة معنونة بـ"فصام الهوية بين أنوثة القاهرة ورجولة مقهورة: قراءة ما بعد كولونيالية في رواية «العطر الفرنسي» لأمير تاج السر"، (١٣٩٧). لفرامرز ميرزاوي، بشري جزائري، إد، خليل پرويني وهادي نظري منظم. نُشر في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، في العدد السابع والعشرين. يقوم هذا البحث بمعالجة تأثير الغرب على البعد الهوياتي للشعوب في حقبة ما بعد الاستعمار. ويعبر عن الغياب الكبير للشعور بالقهر الاستعماري عند المستعمر وأشكال الضغينة الكانت تميز علاقات المستعمر والمستعمّر. مقالة "التهجين في الرواية الجزائرية المعاصرة على ضوء نظرية هومي بابا (رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك لعمارة خوض أمودجا): (١٣٩٩ش) لمحمد تدو وعليرضا شبيخي، المنشورة في مجلة إضاءات نقدية. يقوم الباحثين بمعالجة الهجينة في الرواية المذكورة وتوصّل إلى أنّ المهجّنة غير قادرة على خلق الخطاب الثقافي وذلك يعود إلى عدم تمكنهم من قبول الهوية الجديدة. مقالة معنونة بـ"المؤشرات ما بعد الكولونيالية في رواية موسم الهجرة إلى الشمال لطيب صالح" (٤٠٠ش) لهادي نظري منظم الباحث المستعمر والمستعمّر في رواية موسم الهجرة إلى الشمال من منظور نظرية ما بعد الكولونيالية. يتوصّل إلى أنّ الشخصية الرئيسة المهجّنة لم تقترب من الفضاء الثالث الذي يبرهن عليه هومي بابا. مقالة تحت عنوان "بحث عن كلام التابع في الأدب المقارن" (٤٠٠ش) لأمير حسين وفا. يشير هذا البحث إلى آراء غاياتري سيفاك منظرّة الأدب ما بعد الكولونيالي في مجال دراسات التابع ويؤكد على معالجة ثقافات وآداب التابعين.

رغم أنّ هناك الكثير من الدراسات أنجزت حول النظرية ما بعد الكولونيالية لكننا لم نجد دراسة تتناول هويتي المهجّن والتلع في رواية "ثلاثية غرناطة" من رؤية تاليفية بين هومي بابا وسيفاك. كما أنّ هذه الرواية لم تحظ باهتمام الباحثين على ما لها من أهمية في السرد ما بعد الكولونيالي. ولهذا تتضح أهمية الموضوع وضرورته.

٢. لحة عن رواية "ثلاثية غرناطة"

"ثلاثية غرناطة" تعتبر من الروايات التاريخية تحكي نكبات جسيمة أصابت بالعرب في بلاد الأندلس. الرواية تصوّر

قضية التشريد والهجرة والاضطهاد التي قد أثقلت كاهل المسلمين من العرب ووضعت العقبات أمامهم لتحول دون كفاحهم. هذه الثلاثية تحتوي على ثلاث حكايات مستقلة تروي حوادثاً جرت لخمسة أجيال من المسلمين في الظروف القاهرة التي تعجّ بالفوضى. تبدأ الحكاية الأولى المسماة بـ "غرناطة"؛ بحياة أبي جعفر وهو رجل يناهز الستين من عمره في برهة تصادف على هزيمة مَلِك المسلمين الأخير الذي أوكل قصر الحمراء إلى القشتاليين كما أنّ الحكاية الأخيرة المسماة بـ "الرحيل"؛ حكاية "علي" الجيل الخامس من أجيال أبي جعفر وهو في الستين من عمره الذي يصادف على صدور الحكم الأخير من جانب القشتاليين يفرضون على العرب أن يرحلوا من الأندلس. الحكاية الثانية من هذه وإبقر المعنونة بـ "مرمة" تجسد علاقة مريم وحسن حفيد أبي جعفر والمصائب التي ترسّبت في أعماق النساء التابعات أمام شظف الحياة وظلم المستعمرين. تتجلى في هذه الرواية قضية الهوية بأنواعها المختلفة في الفضاء الثالث: التابع والمهجّر.

٣. أدب البحث النظري

تأثير الاستعمار في العالم الثالث من أهم الموضوعات التي يهتم بها الأدباء لاسيما الذين عاشوا تحت طائلة الاستعمار. أما نظرية ما بعد الاستعمار فحققت معرّف حديث تعود إرهاباته إلى خمسينيات القرن العشرين من خلال أعمال فرانز فانون وألبير ميمي ثم تبلورت أطرها المعرفية والمنهجية منذ أواخر السبعينيات وتأخر استقرار المصطلح إلى أواخر الثمانينات وبداية التسعينيات. (سعيد، ٢٠٠٦: ٤٥). الثالوث البارز لهذه النظرية هم إدوارد سعيد^١، جاياتري سيفاك^٢ وهومي^٣. ومن السمات المميزة لهذه الآداب: عنايتها بموضوعات مؤثرة، مثل الظلم والوحشية، قوة الثقافات المحلية وتاريخها، وجود تراث ثقافي غني أقدم من تراث أوروبا وأرحب، عنايتها بالمكان والانزياح والانحلال، إبراز أزمة الهوية الخاصة بما بعد الكولونيالية، البحث عن علاقة بين الذات والمكان، إحساس بالذات والهوية، العناية بأساطير الأصالة والتراث هي ملامح مشتركة بين الكتابات ما بعد الكولونيالية (بعلي، ٢٠٠٧: ٦٩).

١- هوية المهجّر:

مصطلح «المهجّر» يدلّ على «نبات أو حيوان ينتج عن تزاوج نوعين أو سلالتين أو صنفين مختلفين» (مصطفى والزملاء، ١٩٨٩: ٩٤٥). جهود هومي بابا مكرّسة لاستكشاف الموقع الثقافي المهجّر، مدافعاً عن موقع نظري يفلت

1. Edward Said
2. Spivak Gayatri
3. Homi Bhabha

مثنائيات الشرق والغرب، والذات الآخر، والسيد والعبد والداخل والخارج موقع يتغلّب على الأسس المتعينة ويكشف عن فضاء من الترجمة لا تكون فيه الهويات منسوبة إلى سمات ثقافية متعينة مسبقاً (Bhabha:1994: 11). إنَّ موقع الثقافة هو الفضاء البيئي في منظور بابا، إنَّ الهويات الثقافية هي هويات بينية وهجينة. إذن يمكن القول؛ «المهجنة المظلمة الذي تتقاطع فيه الخلافات الثقافية مع بعضها البعض وتخلّ بالهويات المستقرّة التي تدور حول النزاعات في الماضي والحاضر» (شاهميري، ١٣٨٩: ١٥٧).

إنَّ للفضاء الثالث هو فضاء المهجنة ذاتها، ذلك الفضاء الذي يجوي دوماً المعاني والهويات الثقافية فيه آثار المعاني والهويات الأخرى (أشكروفت وآخرون، ٢٠١٠: ٢٧). إذن يمكن القول إنَّ الهوية وعلى نطاق أوسع، الأشكال الثقافية ليست لها نهاية خاصة، بل هي عملية ذات نهايات مفتوحة يعاد تعريفها دائماً. أمّا مفهوم الفضاء الثالث فيمكن تقويمه من التبسيط بالقول إنَّ اللقاء بين المستعمر والمستعمّر أدّى إلى التقاء فضاءين مختلفين جذرياً. الفضاء الأوّل هو فضاء المستعمر، وهو مشكل من دينه ولغته وتاريخه، أي عالمه الخاص. والفضاء الثاني هو الفضاء الذي أتى به المستعمر وهو يحتوي على عالمه الخاص.

مفهوم الفضاء الثالث الذي طوّره هومي بابا، فهو فضاء اللقاء بين الفضاءين الأولين تاريخياً تشكلت الإرهاصات الأولى للفضاء الثالث في عالم المستعمرة؛ هذه المستعمرة التي يعتبرها هومي بابا الوجه الآخر للحدائث الغربية. إلاّ أن هومي بابا يحاول مجاوزة ذلك بالتركيز على ما يسمّيه الحدود وهو الفضاء، حيث تحتك الهويات وتتجاذب في ما بينها، وحيث يقع فعل الترجمة الثقافية والتهجين (العارف، ٢٠١٥: ١٦٧).

٢-٣ مفهوم هوية الآخر التابع^١:

الصورولوجية علم يقوم بمعالجة صورة «الآخر» أو صورة «الثقافة الأخرى». بعبارة أخرى؛ الصورولوجية طريق يبحث عن صورة البلاد والأجانب في أعمال الكاتب (نامور مطلق، ١٣٨٨: ١٢٢). فالتابع هو الفرد الذي يعيش ضمن مجموعة مهمّة غير قادرة على التعبير عن حاجاتها أو تطلعاتها أو رؤيتها. فالتابع هو الفلاح الأمي والمرأة الصامتة في العالم الثالث وحشود العمّال وسواهم من الجماعات التابعة (المضادة للمتمقّف) ممن كان لهم (مورتون، ١٣٩٢: ٧٩). انطلاقاً عمّا تقدّم؛ التابع يعتبر الآخر^٢ فهو الهامشي الذي يستبعده المركز، أو هو الماضي الذي يقصيه الحاضر. لكنه جوهرى بالنسبة لكيثونة الخطاب الذي يستبعده، فنحن لا نعرف الحاضر دون الماضي ولا نعرف الذات دون الآخر.

1. Subaltern
2. The Other

وأهم من وظف هذا المفهوم إضافة إلى إدوارد سعيد هو هومي بجاها، وغاياتري سبيفاك في حقول مشابهة أو مختلفة (الرويلي والبازغي، ٢٠٠٢: ٢٣-٢١).

غاياتري سبيفاك تنتمي إلى الجيل الأول من مثقفي الهند ما بعد الاستقلال. فقد لمع نجمها في العالم إثر ترجمتها الإنجليزية لكتاب جاك دريدا "في علم الكتابة". عملت مع بول دي مان في وقت لم يكن يعرف شيئاً عن دريدا. «وأعمالها التي اتخذت شهرة عالمية هي: "هل يستطيع التابع أن يتكلم؟"، و"مختارات من دراسة التابع". واشتهرت بدراسات المواقع التابعة في المجتمع؛ فقد اهتمت بالدفاع عن المرأة الشرقية ومواجهة الهيمنة الغربية والدفاع عن المهاجر والاهتمام بالأدب والثقافة.» (شناد، ٢٠١٤: ٣٧).

تذهب سبيفاك في مقالها المعنون بـ«التمثيل الأدبي للتابعات» إلى أن النص الأدبي يمكن أن يستخدم كبديل لنقل ريخ نظمال النساء التابعات. والأدب القصصي يضع بين يدي سبيفاك تمثيلاً حقيقياً للمقاومة النساء ورمود المهمّ شات في عالم ما بعد الكولونيلية. في هذا المقال يبدأ نقد سبيفاك بهذه الفرضية أن البنية التحتية لتمثيل أي عمل فني في النصوص الفنية أو الأدبية أو السينمائية هي نفس البنية لعمل سياسي والاختلاف الكلي بين البنية الفنية والبنية السياسية، هو أن البنية الفنية تعتمد على تمثيل الحقيقة كما هي وتضعها في معرض الأنظار في الظروف التي ينكر التمثيل السياسي هذا الشيء (Spivak, 1988: 292) خلاصة القول أن سبيفاك تتحدّث في مقالاتها العديدة عن التابعات اللاتي يعشن في ظل الاستعمار أو التداعيات الناشئة منه. ورغم صمودهنّ وكفاحهنّ تجاه المتوعين لا يقدرن التكلّم بل يتخفن أصواتهنّ.

إن تقييم سبيفاك لخضوع النساء المستعمرات المزدوج ومناقشتها عملية إسكات الموضوع الوطني الخافت في شكل المرأة التابعة ويمتد إسكات المرأة التابعة ليشمل جميع أنحاء العالم الكولونيالي كما يمتد ليشمل إخراس وإخفات أصوات جميع المواطنين الذكور والإناث (أشكروفت وآخرون، ٢٠١٠: ٢٩٢). تعتقد سبيفاك على أن الأدب يقدر على خلق فضاء متباين لتصوير ونقل احتجاجات ورمود النساء في المجتمع الخاضع للاستعمار.

نستقيج آراء هومي بابا وسبيفاك أن النظرية ما بعد الكولونيلية تتمّ بقضية الهوية اهتماماً بالغاً؛ نلاحظ أن منظرّي ما بعد الكولونيالي ينظرون إلى مفاهيم طرد الهوية، تفكيك الهوية ومحاكلتوية للكشف عن هوية مهجّنة وتابعة. علاوة على هذا؛ أن معالجة الهوية قضية مشتركة في نظريات ما بعد كولونيلية.

٤. القسم التطبيقي

٤-١. تمثيل ظاهرة "التهجين" في الفضاء الثالث

في "ثلاثية" تعرف على بعض الشخصيات الذين ابتعدوا عن هويتهم العربية وثقافتهم العريقة. نشاهد في الرواية مثلاً هنالاً للظاهرة حينما حدثت مشاجرة بين أبي منصور وشاب عربي و سيم مسرف في العناية بمظهره والذي كان ابومنصور يرفع سبأته إليه ويقول له: «تتنصل من أهلِكَ يا كلب!» ثم عرّف الشاب عليّ سن وقال: ابن ياسينم الوقياد. أبوه رحمة الله عليه كان يعمل وقاداً في حمّامي، وأنا سمعته الآن بأذني يتفاخر بأذنه قشتالي أباً عن جدّ، وأن دماءه نقيّة...» (عاشور، ٢٠٠١: ٢١٦ و٢١٧). وفي الرواية الأخيرة نواجه شخصية مهجّنة أخرى المسمّى «خوسيه» وهو اندمج في البيئة الجديدة التي تختلف عن هويته الوطنية حيث إنّه يتبع هوية القشتاليين وينبهر في ثقافتهم. يرتدي ملابسهم ويتكلّم بلغتهم. بعبارة أخرى؛ يهتمّ خوسيه بحفظ مكانته ومنافعه دون العناية بمصير وطنه وموطأ تشير الكاتبة أثناء الرواية إلى خوسيه كي يعبر عن الظروف القاهرة التي تسيطر على المجتمع الاستعماري. في الواقع خوسيه ممثّل لمن يتأثر بإرغاصات الاستعمار وينسي هويته العربية حتى في ملامحه الظاهرية:

«كان خوسيه يرتدي ملابس النبلاء وأثرياء القشتاليين يعتمر قلنسوة من المخمل القرمزي، وسترة مطرزة بخيوط الفضة، وسروالاً يتنفخ حول البطن والردفين قليلاً، ويضيق على الفخذين لينتهي عند الركبتين مسلماً الساقين لجوربين حريريّين ينتهيان داخل زوج من الأحذية لامع مصقول كالمرابا» (عاشور، ٢٠٠١: ٣٦٣).

في الحوار الذي يجري بين "خوسيه" و"علي" نشاهد تجسيد الفضاء الثالث الذي يتحدث عنه هومي بابا؛ خوسيه يشير إلى فضاء يجمع فيه العرب والقشتالية وهذا الفضاء ليس فضلياً بل واقعي. "خوسيه" يريد أن يفرّ من هويته ويقرّب نفسه من الثقافة التي يعتبرها عالية وهي ثقافة قشتالية. في النهاية يقوم بمحاكاة هوية القشتالي ويتبعه في ارتداء ملابس القشتاليين لذلك يعيب علياً على ارتداء الملابس العربية.

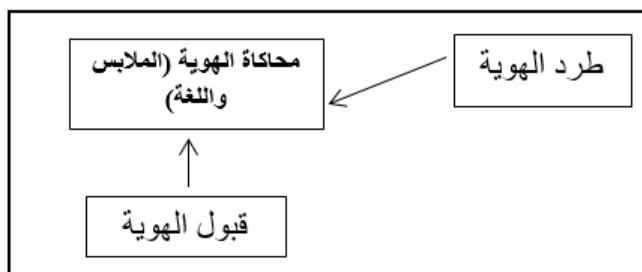
«مادام معك نقود يا أخي ارتد ملابس مناسبة. إنهم يسيئون إلينا، ويتحرشون بنا، ويتعالون علينا ويقولون بازدراء: «أولاد العرب! ولكن الواحد منا إذ يبدو عليه الثراء، ويمشي في الأرض مختلاً كالنبلاء لا يجرون على الإساءة إليه، ولا التحرش به. غلب أن نبدو كالأسياد وأن نتصرّف مثلهم!» (عاشور، ٢٠٠١: ٣٦٥):

نلاحظ في هذا القسم من الرواية؛ أنّ "خوسيه" يعيش في الفضاء الذي يوفّر له أن يتحدث عن التعارضات والاختلاف التي يشاهدها في الثقافة الأجنبية. في الحقيقة؛ نظرته النقدية بالنسبة إلى ثقافته الوطنية يسوقه إلى الآخر والأجنبي. "خوسيه" يكره أن يخاطبه الأجنبي "أولاد العرب". في الواقع؛ يتجنّب عن ظروف يتذكر له هويته العربية؛ يقتضي هنا الضغط تصرّف الأجنبي كي يتعد عن أيّ تحرّش وازدراء. يعتقد أنّ ملابس العربية التي تدلّ

علمها وثقافتها عرّضته على الإساءة والازدراء من جانب الأجانب. وينظر إلى مواطنه الذين يتوسّلون إلى الرائج والغاديجي كقطيعة على ثقافتهم، نظرة "الآخر" أو "العبد"؛ هذه النظرة نظرة تُبعدُه كلَّ البُعد عن جذوره العريقة. لكنّه ينظر إلى الأجنبي نظرة "الأنا" أو "السيد" الذي يمشي في الأرض كالنبلاء. يتجلّي في هذا القسم من الرواية ظاهرة للفظ اللفظ التي يتيح للمستعمّر فرصة يخرّب ثقافته الوطنية أو يحافظ عليها حفاظاً لا يقهّر. أمّا "خوسية" يرفض هويته العربية أثناء محاكاة هوية الأجانب.

نظرة "الأنا" إلى الأجانب ← قبول هوية الأجانب ورفض الملابس العربية ← محاكاة ملابس الأجانب
«يتطلع إلى خوسيه الذي يتحدث بالقشتالية ويضحك بصوت عال مع مجالسيه، قدر أنهم قشتاليون، ثم تشكك في تقديره إذ كانوا يشبهون خوسيه شكلاً وملبساً وفحجة كلام.» (عاشور، ٢٠٠١: ٣٦٦).

إنّ الدليل القويّ مهمّاً في التحاور الاستعماري؛ من الواضح أنّ المستعمّر يدافع عنها ويحافظ عليها أمام المستعمّر. لأنّ العناية بلغة تؤدّي إلى معرفة الهوية البشرية. في هذا القسم من الرواية تشير الكاتبة إلى الفضاء الثالث الذي يعطي المستعمّر حرية الإطّاع والاختلاط مع الأجنبي. "خوسيه" بدل أن يلتزم بلغته يرفضها. ويتحدّث بالقشتالية ويتبع ملاحظاتهم. حسب الدراسات ما بعد الكولونيالية؛ الفضاء الثالث يمكن أن يكون فضاء الجرأة والتبدّل. الكاتبة تجسّد بأشكال مختلفة؛ نلاحظ في شخصية "خوسية" أنّه يقترب من القشتاليين ويتعد عن قيمه العربية. في الواقع؛ رجوع على الانشطار. "خوسيه" يتعرّف نفسه خلال طرد هويته العربية وقبول هوية القشتالي وينهج منهج القشتاليين ليربط هويته العربية بهوية القشتالي رباطاً وثيقاً. طبقاً لشخصية خوسيه نواجه الرسم التالي:



الرسم (١): قبول الهوية

Figure1: Identity acceptance

انطلاقاً ممّا تقدّم؛ نلاحظ أنّ السلطة يري نفسها «الأنا» ويريد أن يهلك هوية مواطنيها «كالآخر» ويقرّب هويتهم من هويتها. السلطة يجبر على الناس أن يغيّر لغتهم، ملابسهم ودينهم. في الواقع؛ السلطة هي الفضاء الثالث

يجول على أن يعيد الناس عن هويتهم العريقة. بعبارة أخرى؛ العيش في هذا الفضاء يتطلب تحلّي خوسية عن عاداته والانبهاري ثقافة القشتالة. نعي بثقافة الأجانب أهداً من وجهة نظر خوسية أكبر من ثقافته الوطنية ولهذا يقوم بطردها وصولاً إلى أن يشبه الأجنبي. لأنّ محاكاة الأجنبي تبعده عن «الإساءة والآخّر».

«تمشي فتحدق بك بالعيون، متربصة بالأذي، تسمع بأذنك عبارات «عربي قدر»، «كلب موريسكي» فتمضي كأنك لم تسمع شيئاً، مرة ومرتين وثلاث، ثم تمسك بتلابيب القائل فتضربه ويضربك، ويسيل دمه أو دمك» (عاشور، ٢٠٠١: ٣٨٠).

الكاتبة تتحدث مباشرة عن الفضاء البيئي أو الهجينة في هذا القسم من الرواية؛ نلاحظ الظروف التي يعيش فيها تعمّر والمستعمّر. يتعرّض المستعمّر لعلّى الفضاحة والإساءة بألفاظ شنيعة منها؛ «عربي قدر» و«كلب موريسكي». المستعمّر يسمّعها في بلده المحتلّة ويشعر أنّ هويته مطرودة في الأرض التي تتعلّق به. هو لا يرغب في محاكاة هوية اللّجّ أو قبولها بل يقاوم على حفظها بإراقة دمه. هذه التعبيرات التي يسمّعها العربي تدلّ على هيمنة الأجانب على بلده، ثقافته ولغته.

«سمع فيه أول ما سمع شخصاً يصيح في آخر: «عربي كلب!» استعاذ بالله ومضي في هدوء كأنّ العبارة لم تخترق أذنيه، وفي السوق الكبير صادفه رجلان يقول أحدهما للآخر: «إنّهم مياولون للشر بطبعهم. لا يمكنك أن تأتمن أحداً منهم مهما أظهر لك المحبة والوفاء. هؤلاء العرب كذّابون مراوغون، والحيانة صفة أصيلة فيهم جميعاً!» (عاشور، ٢٠٠١: ٤٢٧).

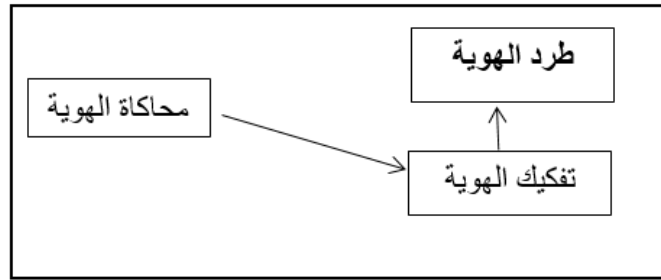
تشير الكاتبة إلى الصراع الذي يجري بين "الأنا والآخّر"، تصوّر رضوى الصورة التي يتصوّرها القشتاليون للعرب الكائنات للكاتب تبهن مباشرة على أنّ هذه الصورة لا تشكل إلاّ في الفضاء الثالث الذي قد شكّل بين الأنا والآخّر. في هذا الفضاء نلاحظ أنّ الإنسان العربيّ عرف على وجهه نظر القشتاليين بالنسبة إلى نفسه وأيضاً يشاهد أنّ القشتاليين ينظرون إلى العرب نظرة لاذعة تؤذيه. إنّ هذه النظرة التي نشأت من الفضاء الثالث تؤدي إلى أنّه يقوم بالتفكيك بينه وبين هويته العريقة. القشتاليون يهّمون العرب بالكذب، المراوغة والحيانة. لذلك نشاهد أنّ هذه الفقرة تحكي عن الهوية المهجّنة تجسّد خلال المراحل التالية:

تفكيك الهوية ← طرد الهوية

من يمتلك مصحفاً أو كتاباً بالعربية يخفيه، ومن يرتدي مقطعاً تونسياً أو ما شابه يخلعه ويواريه. تتوقف دروس الصغار وينبّههم أهاليهم إلى ضرورة الكتمان والحدّر» (عاشور، ٢٠٠١: ٤١٠).

في هذا القسم من الرواية نشاهد قضية طرد الهوية؛ الكاتبة تجسّد القشتالة والعرب والفضاء الذي يشكل بينهما.

إنَّ القتلقة تسيطر على العرب وتشير الكاتبة إلى المراحل التي تؤدي إلى نبذ الهوية العربية. إنَّ الناس الذين يمتلكون الكتب العربية التي ترثها من أجدادهم قاموا بإخفائها خوفاً من عقوبات السلطة وعلاوة على الكتب، اجتنبوا عن ارتداء ملابسهم العربية وتعليم صغارهم اللغة العربية. يهتمَّ الناس بضرورة كتمان ما يرتبط بهويتهم لكي يحافظوا عنها. في الحقيقة الكتملة والحذر يقرُّ بهم من قضية تفكيك الهوية أو لا ثمَّ طردها أمام شظف الحياة. «بجادل بابا بأنَّ كلَّ البيانات والأنظمة الثقافية تصاغ في فضاء يسمَّى به "الفضاء الثالث للتعبير". عادة ما تظهر الهوية الثقافية في هذا الفضاء المزدوج والمتناقض، وهو بالنسبة إلى بابا يجعل الادعاء بوجود نقاء هرمي للثقافات واهية» (أشكروفت، ٢٠١٠: ١٩٩).



الرسم (٢): طرد الهوية

Figure 2: Identity rejection

تصوِّر لنا الكاتبة الفضاء الثالث في شخصية "مرمة" التي تفرض طلب "الدونيا بلانكا" زوجة "دون بدرو" التي تقدِّم طلبها إلى "مرمة" كي تطبخ لضيفاتها الأطعمة العربية الشهية. أمَّا "مرمة" فتخجلُّ أن تخدمها وتقرُّ أن تمارض وتمنع نفسها من أن تقبل طلب الأجنبي. تشير رضوى عاشور إلى الفضاء الذي يستشري في البيازين. ما يهمُّنا هو «أنَّ لفرد لا يعثر على هويته إذا لم يستطع أن يتشكل داخل ما يرويه. وإذا كان هذا يبدو صحيحاً على صعيد الفرد، فإنَّه يبدو كذلك على صعيد الجماعات وعلى صعيد الأمم والشعوب» (آدرشب وأعرجي، ١٣٩٦: ١٠). لهذا فإنَّ الهوية قد تكون نتاج عملية السرد الذي تمارسه الجماعة.

«تحدثت إليها صاحبة البيت وهما واقفتان. أفهمتها أمَّما تقيم حفلاً في دارها، وتريد أن تضيف لقائمة طعامها صنوفاً من الأكل العربي حدِّتها وطلبت من مرمة إعدادها... فما الذي يأتي بامرأة موريسكية إلى دور أسياد غرناطة، مادامت ليست من خدم الدار ولا عبيدها؟» (عاشور، ٢٠٠١: ٢٩٠).

في هذه الفقرة نواجه شخصية "مرمة" التي تفتخر بهويتها العريقة وتقبلها من شغاف القلب حتى رفضت اقتراح

امرؤؤند بدرو، لإعداد مرمة صنوفاً من الأطعمة العربية لضيافتها. "مرمة" لا تريد أية خدمة لموريسكية حتىّ إعداد الأطعمة ترتبط بهويتها العربية. هناك نلاحظ أنّ الفضاء الثالث يؤدي إلى إيجاد فضاء يسبّب الإنسان العربي يجتنب عن نشأة العلاقة بينه وبين الآخرين. "مرمة" تقوم بقبول هويتها لتبعد نفسها عن التفكيك والمحاكاة. إضافة إلى هذا؛ تقوم بطرد الشخص الذي يعتبر نفسه "الأنا" في بلد غير بلده وتخطبه بامرأة موريسكية التي تعيش في دار أسياذ غرناطة.

٤-٢. تمثيل "لغة البيدجين" في الفضاء الثالث

تعمل اللغات البيدجيرية على اللغة المهجنة أي أنّها تستخدم كوسيط للتواصل بين مجموعات من البشر لا تجمعهم لغة واحداً عندما يستخدم شخصان أو أكثر لغة بتنويع تتسم قواعده النحوية ومفرداته بالاختزال الشديد وهي ليست لغة الأم لأبيهم فهم يستخدمون لغة بيدجين (أشكروفت، ٢٠١٠: ٢٧١).

إنّ هيمنة القشتاليين في البيازين وعين الدمع تسفر عن امتزاجهم مع المواطنين وفرضوا عليهم استخدام اللغة القشتالية والتجنّب عن استعمال لغتهم الأم. رضوى عاشور تشير إلى ظاهرة "لغة البيدجين" في الأندلس التي تنعكس في شخصية "مرمة"، "حسن" و"نعيم". لا تقدر هذه الشخصيات استعمال لغة غير لغة الأم بشكل صحيح بل يستخدمونها بصعوبة لأجل سيطرة القشتاليين. و"مرمة" تحدّث عن هذه المشكلة مشيرة إلى أنّ لغة البيدجين من إرهابات ما بعد الاستعمار التي شاعت في المجتمع ما بعد الكولونيالي:

«جنود في دارها؟ سألوها بالقشتالية كان هناك غيرها في الدار، فأجابتهم بأنّها وحدها وأنه لا يصحّ، وهم أغراب، أن يدخلوا الدار عليها وهي وحدها، ضحكوا وتجاوزوها إلى الرواق فالغرف. لحقت بهم وهي تصيح أن للدر حرمة ولكنهم لا يعرفون لشيء حرمة، ثمّ انتهت أنّها تكلمهم بالعربية فحاولت أن تعيد الكلام بالقشتالية فبدا لها غريباً والمعنى غير المعنى» (عاشور، ٢٠٠١: ٣٢٤):

كما نلاحظ أنّ "مرمة" امرأة تحافظ على هويتها أي حفاظاً؛ لكنّها السلطة هيمنت عليها وفرضتها أن تستعمل اللغة القشتالية. إنّها تستخدم العربية لكنّها تجاه السلطة تستعمل القشتالي المفعم بالغموض والإبهام. "مرمة" امرأة عربية وتكلم بلغتها الأمّ أمّا عندما تترجم لثقافة القشتاليين تحتلّ بيتها تتحدّث معهم بالعربية والقشتالية معاً. نسمة في هذه الظاهر في الدراسات ما بعد الكولونيالية ظاهرة لغة البيدجين. "مرمة" لا تستطيع أداء اللغة القشتالية صحيحاً بل يستعملها غريباً وبعيداً عن الفهم. «وممّا لا شك فيه أنّ اللغة عنسللكان الأصليين من أهم مظاهر الهوية فكلّ من لا يجيدها في بلدهم يعتبر إنساناً مرفوضاً ويصعب التعامل معه» (تدو وشيخي، ١٣٩٩: ٦٠). في قسم آخر من الرواية

1. Pidgins

لكا المرسوم الذي أعلنه القشتاليين يعبر عن عدم استخدام اللغة العربية في الكتابة والتخاطب بالعربية في المحافل وليلوت. أثار هذا الحكم بين الناس واضطربت مرعبة اضطراباً شديداً بعد أن تسمعه به وتساءل علياً عن تفاصيله؛ كيف يمكن عدم استخدام اللغة العربية في بيتنا؟

«أنت تتقن القشتالية، ولكني لا أتقنها وحين أتحدث بما أشعر أنني بنصف لسان فكيف أتحدث معك هنا في داري بلغة غير لغتي؟!» (عاشور، ٢٠٠١: ٣١٦).

هن ثورمجة" على أنها من المواطنات اللاتي أثرت عليهن "الهجنة" وراجت بينهن "لغة البيدجين"؛ والمرسوم بمنعهن عن العمل بالغة العربية حتى في دارهن لأن السلطة تنظر إلى استخدام اللغة العربية كوسيلة لإشاعة الإسلام. هذا الأمر يعد مصيبة بالنسبة إلى الذي لا يستطيعون استخدام لغة غير اللغة العربية وذلك يعود إلى أنهم لا يتقنون القشتالية بل يتكلمونها بالغموض والأخطاء الشائعة. من هنا «بدأ سؤال الهوية يورق الإنسان العربي نتيجة احتكاكه بالآخر، الذي سبقه حضارياً ويهدد وجوده حين زحف إلى الشرق مستعمراً، إذ إن لمراء لا يدرك أهمية هويته إلا في لحظة مأزومة عندئذ يرتد إلى مكوناته الأصلية، التي تمنحه الإحساس بوجوده فيحس بضرورة الحفاظ على هذه المكونات مهما كانت التحديات» (ميرزائي وآخرون، ١٣٩٧: ٩٠).

«كيف نحرم الأهالي من اللغة التي ولدوا وتربوا عليها وقال إن أهالي القرى والجبال لم يسمعو أحداً يتحدث بالأعجمية التي يجهلونها تماماً، لأنهم في تلك الأماكن النائية يتحدثون العربية ثم إن هناك في المدن أيضاً من المسنين من لا يعرف سوى العربية، ولا يستطيع في هذه العمر أن يتعلم لغة جديدة» (عاشور، ٢٠٠١: ٣١٨).

هذه الفقرة تعبر عن إجابة فرانسيسكو نونيز عن مرسوم السلطة ومدى اضطهادها للمستعمرين. يقول إن عدم استخدام اللغة اللغوية ارتباطاً عميقاً بتدمير الثقافة؛ الشعب العربي يستعمل اللغة العربية بما أنها لغتهم الأم ترعروعا معها وترتوا عليها ولا يمكن هكها وطردها لأن ترك لغة الأم لا يدل على شيء سوى إخماد الهوية العربية.

إن الاهتمام باللغة من القضايا الرئيسة خلال رواية "ثلاثية غرناطة". في قسم من الرواية "حسن" يحاول أن يعلم حفيده اللغوية التي تنسى في الجيل الجديد مستعينا باللغة اللاتينية. إنه يكتب على اللوحة الحروف العربية أولاً؛ ثم يكتب نطقها المتطابق في اللغة الإنجليزية التي تعلمها الولد في المدرسة. إن غرض "حسن" من تعليم الحفيد اللغة العربية عدم نلها هويته العربية لاسيما لغته الأم في الحقبة التي يؤكد على عدم استعمال لغة الأم وهذا يعود إلى ثنائية الأنا والآخر:

«هذا الحرف هو أول حروف العربية، هكذا يكتب خطأ كالعصا له عين في أعلاه كعين المخراز الصغير،

والنطق متقارب. نقول: **andalucia** ونقول أندلس. والحرف الثاني هو حرف الباء. والنطق متطابق، نقول: **barrio** ونقول: بلد. أما الحرف الثالث في الأبجدية اللاتينية فيقابل الحرف الرابع في العربية، بينهما شبه، وبينهما اختلاف، نقول: **ciudad** ونقول: **«casa»** (عاشور، ٢٠٠١: ٢٧٣).

في الحقيقة، "حسن" يخاف أن ينسى "على" اللغة العربية التي تعبر عن عرقه العربي. يسعى في سبيل تحقيق غرضه وفي النهاية يتعلم "على" لغة أجداده الأصيلة.

في هذا الفضاء نلاحظ أن علياً يشعر بالخوف لإظهار دينه تجاه "النجاة" محاولاً على كتمانها؛ إن ظاهرة "المهجرة" عليّ في المجتمع الكولونيالي تدل على أن العربي لا يحق أن يصير على عقائده أو دينه بل الإصرار على العقائد أو القيام بالطقوس والتقاليد يعتبر من الجرائم:

في فقرة التالية، يحكي "على" عن الرسالة التي كتبها فرانسيسكو نونيز بالنظم من الأهالي لإقناع السلطات وحل المشاكل التي تمنع ارتداء الملابس العربية. إن الاحتفاظ بالثياب العربية يدل دلالة مباشرة على الثقافة الوطنية وربما الدينية التي تحاول السلطة على إخمائها لأن الملابس العربية ترتبط بتقاليد الشعوب والسلطة تحالف الملابس الشعبية لأنها تحالف الدين الذي يختاره الشعب:

«قال إن الملابس التي ترتديها نساء العرب ملابس شعبية شاعت بينهنّ ليس لأنهنّ مسلمات، بل لأنها محلية ترتبط بالأرياف والمناطق التي يعشن فيها» (عاشور، ٢٠٠١: ٣١٧).

٥. تمثيل هوية "التابع" في الفضاء الثالث

رضوى عاشور من الكاتبات اللاتي تعني بأصوات النساء المستعمرات في رواياتهما؛ الأصوات التي ليست الأذن صاغية لها. مواصفات المرأة المستعمرة في رواياتها "ثلاثية غرناطة" تطبق المرأة التابعة الشرقية التي تشير إليها سبيفاك في دراساتها ما بعد الكولونيالية، نواجه في هذه الرواية القشتاليين المستعمرين الذين فقهوا أخذوا زمام الأمور بأيديهم أياماً كانت أندلس تعج بالفساد والفوضى؛ ويستشري فيها التعس واليأس. فالقشتاليون وضعوا العقبات أمام النساء التابعات ولن يقبلوهنّ ومكانتهنّ وتصرفوا معهم تصرفاً فات المستعمرين. بعبارة أخرى؛ المرأة في المجتمع الذي يسيطر عليه الأجنبي ويتدخل في شؤونه، تواجه ثنائية المجتمع الذكوري والمجتمع الاستعماري معاً؛ "فضة" هيأة التي تدور دوراً للمستعمرة تخدم في بيت "دون بدرو" وهو يعمل في المستشارية، يتصاحب ويمتلك كل ما يرتبط بخادمتها «الفضة» وينظر إليها نظراً إلى التابع ولذلك ينشأ بينهما علاقة المالك والمملوك. أما "الفضة" فتتحمّل ما لا تطيقها لكي لا يشغلها دون بدرو في بيوت السوء وتقول:

«الدون بدرو يطلب أحيانا ما يطلبه السيد من إمرائه يمتلكها ولا املك له رداً. أقول يا ربّ لماذا تحملني ما لا أطيق؟ ثم أعود فأقول إنني أفضل حظاً من الأخريات اللاتي يشغلن أسبادهنّ ويفرضون عليهنّ القيام بذلك الفعل في بيوت السوء والفنادق للتكسب من ورائهنّ» (عاشور، ٢٠٠١: ٣٣٩).

والإنسان التابع في النهاية هو الإنسان المقهور أمام القوة التي يفرضها المستبد أو الرجل أو المستعمر الذي يفرض احتلاله. بالطبع هذه السلسلة تترابط حلقاً لما تقوم بينها من مصالح، كتيقده وتفقدته السيطرة على مصيره فإضاعة عليه قانونها الذي يتميز أساساً بالاعتباط، وبذلك يصبح الإنسان الذي لا حق له ولا مكانة ولا قيمة إلا ما شاء الطرف المتسلط أن يتكرم به عليه (حجازي، ٢٠٠٥: ٣٩). رضوى تصف لنا العزل المضاعف بالنسبة لـ«الفضة» التي يعاملونها معاملة العاملة في بيت غير بيتها وفي بلد غير بلدها من جهة.

والمرأة التي تحيا أزمة الهوية على الصعيد الخاص والعام. أمّا الصعيد العام فهي مواطنة تنتمي إلى وطن وكجزء من عالمها للعيش بالضرورة الأزمة مثل الرجل. وأمّا الصعيد الخاص فهو متعلق بما المرأة دون غيرها (الرجل) باعتبار أنها تعاني من أزمة الهوية على مستوى الذات ونقص أزمة الهوية الجنسية أي الانتماء إلى جنس الأنثى. رضوى تريد أن تتجسّد لنا شخصية المرأة التي تعيش في المجتمع العربي الذكوري الذي ينظر إليها بوصفها هامشية:

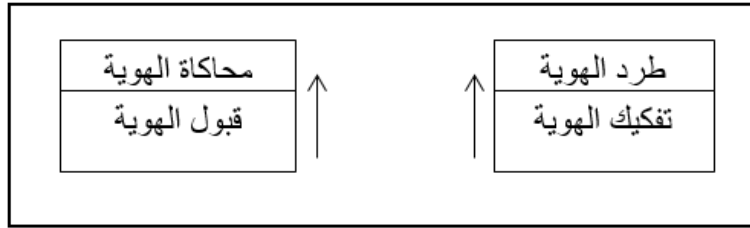
«فتشوا في الخزان وتحت الفراش. فتحوا صندوقها ونثروا ما فيه من ملابس، ورأت واحدا منهم يضع خلسه في جيبه المكحلتين: الصغيره المصنوعه من الذهب الخالص والأكبر المصنوعه من الفضة فعلا صوتها: هل أنتم لصوص؟ هات المكحلتين. لقد ورثتهما عن أمّي عن جدّي، هات» (عاشور، ٢٠٠١: ٣٢٤).

يتمّ لا متوقّداً على إحقاق حقّها في بيتها ووطنها، إنّها تجسّد صورة الآخر المماثل والمغاير معاً: تواجه مرّة أمام المختلّط كوري ومرّة أمام الاستعمار. في هذه الفقرة نشاهد أنّ الجنود فتشوا بيتها وما فيه من الملابس والأشياء وفي نهاية المطاف سرقوا المكحلتين لليلية والفضية ورثتهما عن جدّتها. يمكننا القول إنّ رضوى عاشور تشير غير مباشرة إلى العمأة المهتمّة بمفهوم التراث اهتماماً لا نظير له. يدلّ التراث على الهوية والأصالة؛ المستعمّر يتوسّل إلى التراث والغادي لكي يحافظ على هويته كما نلاحظ أنّ المكحلة في هذالفرقة من الرواية تعبر عن التراث الشعبي. تعلق مرعبة صوتها المغمم بالسخط رغم أنّ كيانها يملأ بالخوف لكنّ يكبت الجنود صوت التابع. أهم مرتكزات الأدب ما بعد الاستعمار، قضية الإزاحة عن المكان الرئيس و الارتقاء في مكان ناء وبناء تصوّرات مغايرة تولّد أزمة خاصة بالرؤية وبالهوية وباستعادة بناء علاقة فعالة بين الذات والمكان الجديد لتحديد موقع الفرد في العالم وهذا هو مفهوم الاغتراب والمنفى. تتحدث الكاتبة عن مفهوم التشريد في داخل الوطن، هذا المفهوم يجي أحاسيس ثنائية منها الخوف والمنفى الداخلي. تصوّر لنا أنّ موقعه في العالم موقع الاغتراب والمنفى. مرعبة تري نفسها بين الذات المتشرد في وطنه.

الكاتبة تبينّ الاغتراب الذي جرّ به المستعمرون إزاء المستعمرين في وطنهم.

«هل تعملين هنا منذ زمن يا نجاة؟ منذ قرابة عامين يا سيدي ... متعهد هذه الامور في الخان، وهو الذي يحصل منا النسبه المقرره للملك. الملك؟ نعم يا سيدي. أنا أيضا لم أكن أعلم كل هذه الاشياء ولكني صرت أعلمها الحي العربي كل مرافقه من أملاك الملك» (عاشور، ٢٠٠١: ٤٤٦-٤٤٤).

«نجاهي الشخصية التي تواجه مصائب فادحة. تصوّر حالة دائمة من الغربة والابتعاد والإقامة الهامشية، إنّ العمل في الخان أصبح صعبة من طويخود تولد شعوراً متواصلًا بالانشقاق عن السياق ووقفة الانتظار. تبينّ نجاة تجربتها التي تتضمن أنواعاً عديدة من الابتعاد القسري والنفي العنيف. ترسم لنا رضوى عاشور مدي هامشية المرأة أمام المجتمع الذكوري وتداعيات التشريد والاستعمار؛ المرأة التي تلجأ إلى الضمّحاء كلّ ما يحدث لها. فالشعوب المستعمرة سلب منها حقّ تمثيل نفسها أي أنّها سلبت حقّ التعبير عن ذاتها. والكلام هو الوسيلة الوحيدة لتأسيس معرفة متماسكة عن التابع ووعيه ووجوده. أما النجاة لا تمتلك سوى الرضوخ والتبعية؛ والوقوع في الدونية كقدر مفروض. ومن هنا تتصوّر تصرّفات كالتزلف والمبالغة تعظيم السيد اتقاء لشرّه أو طمعاً في رضاه. إنّها تعيش في عالم بلا رحمة أو تكافؤ إذا أرادت المجاهدة أو فكرت في التمرد فسيأتي الردّ عندها حاسماً يقنعها بقمع أفكارها التمردية. كما نرى هذا القمع في مصيرة سليمة بنت جعفر التي اتّهمت من جانب الكنيسة بالارتداد عن الكنيسة وأعلنوا عليها حكم الموت «حكّمنا عليها وأنت واقفة أمامنا هنا في ميدان باب الرملة أنك كافرة لا توبة لها، عقاباً الموت حُرِّقاً» (عاشور، ٢٠٠١: ٢٤٥). وعندما تتابع مصيرة أسرة مريمه نراها اشتبكت في المشاكل العديدة تخرقهم القوانين في إقامة مراسيم تدفين أيهم على رغم منع القشتاليين إيّاهم. قال أخو مريمه: «سنقوم بيلقي به وبنا. ولا يذهب القشتالي إلى الجحيم!» وقاموا بغسل أباهم وتكفينه، وتشيعه، وتلاوة القرآن بصوت تردّد في فضاء الحايّ لأجل هذا التمرد وتفكيك الهوية الدينية وقبل أن ينقضني الأسبوع كان القشتاليون قد اقتحموا بيت أبيها وألقوا القبض على أمّها وشقيقه ما.» (عاشور، ٢٠٠١: ١٥٨).



الرسم (٣): استراتيجية تعاملية للأنا والآخر

Figure3: The behavioral strategy of the reference subject and the other

إلّا سمّ الثالث يؤكد على أنّ هوية التابعات ليست ثابتة بل تكون متغيرة حسب الظروف التي يعيشن فيها. بعبارة أخرى؛ الظروف التي تسمحهنّ الخروج من العزلة تساعدنّ على تفكيك الهوية والحصول على الهوية المحبّبة أمّا الظروف التي لا تمنحنّ فرصة التعبير عن معاناتهنّ فتسفر عن قبول هوية التابعة وقبول الاضطهاد المزدوج من جانبي الاستعمار والبطريكي.

٦. النتيجة

إنّ رواية "ثلاثية غرناطة" تعتبر من الروايات ما بعد الكولونيالية؛ نلاحظ فيها ملامح "الهجنة" خلال ما يجري بين الشخصيات؛ مثل ابن ياسين الوقاد وخوسية ذوو هويات عربية هم الذين ترعرعوا في بيئة عربية قبل هيمنة القشتاليين؛ وبعد أن يقطر عليهم القشتالية يتأثرون بـ "الفضاء الثالث" الذي يتجسّد بينهم وبين القشتاليين الذي يؤدي إلى نسيان هويتهم العربية العريقة خلال محاكاة هوية الأجانب. علاوة على تجليات الهجنة في المجالات الثقافية، تنوصّل إلى ظاهرة "الهجنة اللغوية" وتعرّف على ظاهرة لغويّة حديثة في الحقبة ما بعد الكولونيالية وهي ظاهرة "لغة البيدجين" التي تدور دوراً مهمّاً في تكوين شخصية "مرممة" أمام الأجانب. إنّ هذه الظاهرة اللغوية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمواطنين الذين لا يمكنهم هويتهم بل يتمسكون بها أمام الظروف القاهرة. على أساس هذا؛ تُقبّل الفرضية الأولى التي تشير إلى أنّ الرواية تدور حول الصراع بين العرب القشتاليين في ممالك الأندلس؛ هذا الصراع يشكل فضاءً بين العرب والقشتالية وينطبق على الفضاء الثالث الذي يتحدّث عنه هومييا في دراساته ما بعد الكولونيالية. هذا الفضاء يصوّر ظاهرة التهجين التي تتجلّى في قضية الدين، اللغة والثقافة حتى تنتهي إلى ظهور الهوية الملهجة.

تفق الكاتبة مع نظرة سيفاك وهي أنّ المرأة التابعة تستطيع أن تتكلّم إذا كانت الظروف متوفرة لها من جانب الثقافة البطريكية والاستعمار؛ إنّ الرواية المذكورة تنطبق على ملامح النساء التابعات منها؛ سليمة، مرممة، الفضة، النجاة واللاقي يعانين من الظلم المزدوج من جانبي الاستعمار والبطريكي. إضافة إلى ذلك؛ يمكننا الإشارة إلى قبول الفرضية ليقافهي أنّ رضوى عاشور من الكاتبات التي تهمّ بالقضايا ما بعد الكولونيالية في رواياتها؛ هذه الدراسات ترتبط بدور الناس الهامشيين الذين يعيشون في فترة الاستعمار.

المصادر و المراجع

- [١] آذرشب، محمد علي وفاطمة أعرجي، تمثيل هوية التابع في الرواية العربية الجديدة رواية "شيكاجو" أمودجاً، *دراسات في اللغة العربية وآدابها*، العدد السادس والعشرون، (١٣٩٦)، صص ٢١-١.

- [٢] أشكروفت، بيل وجاريت جريفيث وهلين تيفين (٢٠١٠)، الدراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الرئيسة، ترجمة: أحمد الروبي وأيمن حلمي وعاطف عثمان، الطبعة الأولى، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- [٣] برباش، ويزة، دراسة التوظيف التاريخي والروائي والبنية السردية في رواية ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور، (٢٠١٦)، أطروحة الماجستير في جامعة محمد بوضياف المسيلة.
- [٤] بعلى، حفناوي (٢٠٠٧م)، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الطبعة الأولى، الجزائر: الدار العربية للعلوم.
- [٥] تدو، محمد وعليرضا شيخي، التهجين في الرواية الجزائرية المعاصرة على ضوء نظرية هومي بابا (رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخوض أتمودجاً، إضاءات نقدية، العدد السابع والثلاثون، (١٣٩٩)، صص ٤٥-٦٩.
- [٦] جوان مولايبي و رضا ياوريان، خوانش يساستعماري از رمان مردم جولاي نادين كردمير، نقد اللغة والأدب الإنجليزي، العدد ٥٥، (١٣٩٢)، صص ١٤-١.
- [٧] حجازي، مصطفى، (٢٠٠٥)، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، الطبعة التاسعة، بيروت: دار البيضاء.
- [٨] خلود، ابراهيم، تطوّر البناء الدرامي التاريخي في روايات رضوى عاشور "٢٠١٠-١٩٩٢"، (٢٠١٤)، أطروحة الماجستير.
- [٩] روشنفكر، كبري وهادي نظري منظم وسميرا حيدري راد، شخصية المرأة في رواية "الطنطورية" لرضوى مصطفى عاشور على ضوء آراء سبيفاك، مجلة آداب الكوفة، (١٣٩٦)، صص ٣٤٣-٣١١.
- [١٠] الرويلي، ميجان و سعد البازغي (٢٠٠٢م)، دليل الناقد الأدبي، الطبعة الثالثة، بيروت: الدار البيضاء-المغرب.
- [١١] زعزاع، أحمد، المحكي التاريخي واستراتيجيات المقاومة الثقافية في رواية ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور، الآداب، (٢٠٢١)، صص ٩-١٠٤.
- [١٢] سعيد، إدوارد (٢٠٠٦م)، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، المترجم: محمد عناني، الطبعة الأولى، القاهرة: رؤية للنشر و التوزيع.
- [١٣] سعيد أبو الوفاء، مني، ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور دراسة في التشكيل السردية ومقصديته، (٢٠١٠)، رسالة الدكتوراه في جامعة عين الشمس.
- [١٤] شاهميري، آزاده (١٣٨٩)، نظريه و نقد يساستعماري، الطبعة الأولى. طهران: منشورات علمية.
- [١٥] شناده، منظره هندية لخطاب مابعد الاستعمار، مجلة علمية ثقافية، العدد ١٥، (٢٠١٦)، صص ٢٠٨-١.

- [١٦] العارف، خالد، الفضاء الثالث في روايات واسيني الأعرج: شطب الحدود وإعادة الكتابة، *مجلة تبين*، العدد ١٤، (٢٠١٥)، صص ١٦٥-١٨٦.
- [١٧] عاشور، رضوى (٢٠٠١م)، *ثلاثية غرناطة*، الطبعة الثالثة، القاهرة: دارالشروق.
- [١٨] عودة زعرب، صبيحة، تقنيات السرد الزمني في الرواية التاريخية "ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور نموذجاً"، *مجلة جامعة الزيتونة الأردنية*، (٢٠٢١)، صص ٣-٢٦.
- [١٩] فاتحي، حسن وفرامرز ميرزائي وبي بي راحيل سن سبلي، خوانش پسااستعماري تجرہ ی مهاجرت در رمان "أصابع لوليتا" اثر واسيني الأعرج از دیدگاه هومي بابا، *نقد الأدب العربي*، العدد ١، (١٣٩٥)، صص ١٩٨-١٧١.
- [٢٠] فاتحي، حسن و بي بي راحيل سن سبلي، بررسی هویت پسااستعماري در رمان "مملكة الفراشة" اثر واسيني الأعرج با تکیه بر دیدگاه هومي بابا، *مجلة لسان مبین*، العدد ٢٨، (١٣٩٦)، صص ١٥٥-١٢٩.
- [٢١] محمود عبیدات، زهير، ثلاثية غرناطة: مقارنة الحاضر دراسة في رواية الروائية رضوى عاشور، *العلوم الإنسانية والاجتماعية*، العدد ٣، (٢٠٠٦)، صص ٥١٩-٦٠٦.
- [٢٢] مخلوف، عمر، مظهرات الزمن في رواية غرناطة لرضوى عاشور، *حوليات الآداب واللغات*، (٢٠١٦)، صص ٤١٢-٤٢٧.
- [٢٣] مسلم، سومية، شعرية الوصف في رواية ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور، (٢٠١٤)، أطروحة الماجستير في جامعة أم البواقي.
- [٢٤] طه، إبراهيم وأحمد حسن الزيات، حامد عبدالقادر ومحمد علي النجار (١٩٨٩)، *المعجم الوسيط*، استانبول: دار الدعوة.
- [٢٥] مورتون، استيفان (١٣٩٢)، *گایاتری چاکراورتی اسپیواک*، ترجمة: نجمة قابلي، تهران: بيدگل.
- [٢٦] ميرزائي، فرامرز وبشري جزائري راد و خليل پرويني و هادي نظري منظم، فصام الهوية بين أنوثة القاهرة ورجولة مقهورة: قراءة ما بعد كولونيالية في رواية "العطرالفرنسي" لأمير تاج السر، *دراسات في اللغة العربية وآدابها*، العدد السابع والعشرون، (١٣٩٧)، صص ٨٥-١٠٤.
- [٢٧] نامور مطلق، بهممن، درآمدي بر تصويرشناسي، *مطالعات ادبيات تطبيقي*، العدد ١٢، (١٣٨٨)، صص ١٣٨-١١٩.
- [٢٨] نيكوبخت، ناصر وحنان محمد موسي طاحون وغلماحسين غلامحسين زاده وكبري روشنفكر، الفتنة المصرية في

رواية «الباب المفتوح» (دراسة في البناء الروائي)، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، (٢٠١٢)، العدد ١٩، صص ١١٩-١٤٧.

[٢٩] ورزنده، اميد و سيد رضا ابراهيمي، هويت زن شرقي مهاجر در آثار جومپا لاميري ومهنوش مزارعي از ديدگاه هومي بابا، مجلة اللغة والأدب الفارسي، العدد ١١، (١٣٩١)، صص ١٦٠-١٨٩.

المصادر الإنجليزية

30. Bhabha. H. K., (1994). *The Location of Culture*. London: Routledge Classics.
 31. Spivak, G.C., (1988). 'Can the Subaltern Speak?' in Cary Nelson and Lawrence Grossberg (ed) *Marxism and the Interpretation of Culture*, London: Macmillan, Pp. 271-313.

Reference

- [1] Azarshab, Mohammad Ali and Fateme Aarji, (2016). 'Representation of the follower's identity in the new Arabic novel, "Chicago" as a model', *Arabic Language and Literature Studies*, Vol. 26, Pp. 1-21.
 [2] Ashcroft, Bill and Gareth Griffiths, and Helen Tiffin, (2010). *Postcolonial Studies: Key Concepts*, Translated by Ahmad Al-Roubi, Ayman Helmi and Atef Othman, 1st Ed., Cairo: National Translation Center.
 [3] Barbash, Vaiza, (2016). 'An examination of historical and narrative employment and narrative structure in Radwa Ashour's Granada Trilogy,' Master's Thesis at Muhammed Boudiaf Mosla University.
 [4] Baali, Hafnawi, (2007). *An Introduction to the Theory of Comparative Cultural Criticism*, 1st Edition, Algeria: Darul Uloom Arab.
 [5] Tado, Mohammad and Alireza Sheikhi, (2019). 'Hybridization in the contemporary Algerian novel in the light of Homi Bhabha's theory (the novel "How to breastfeed from lupus without biting you" by Amare Lekhod as a model), *Ishraq Critical*, Issue 37, Pp. 45-69.
 [6] Javan Moulai and Reza Yavarian, (2012). A post-colonial reading of Nadine Gardimer's novel *People of July*, *Criticism of English Language and Literature*, No. 5, Pp. 1-14.
 [7] Hijazi, Mustafa, (1384), social backwardness, an introduction to the psychology of the oppressed, 9th Edition, Beirut: Al-Bayda Publication.
 [8] Kholoud, Ibrahim, (2014). 'A dramatic historical narratives in the novel of Radwa Ashur «1992-2020»', Master Thesis.

- [9] Roshenfekr, Kubra, Hadi Nazari Monazzam and Samira Heydari Rad, (2016). Female character in the novel "Tanturieh" written by Radwa Mustafa Ashour in the light of Spivak's opinions, *Kufa Culture Magazine*, Pp. 311-343.
- [10] Al-Raweili, Mijan and Saad al-Bazeghi (2002). *A Literary Critic's Guide*, 3rd Edition, Beirut: Al-Bayda Publication.
- [11] Zaaza, Ahmed, (2021). Historical narrative and strategies of cultural resistance in Granada Trilogy of Radwa Ashour, *Al-Adab*, Pp. 104-9.
- [12] Said, Edward (2006). *Orientalism, Western Concepts of the East*, Yranslator: Mohammad Anani, 1st Edition, Cairo: Vision Publication and Distribution.
- [13] Saeed Abul Wafa, Mona, (2009). 'Granada Trilogy of Radwa Ashour, the study of the formation of the narrative and its purpose', PhD Thesis at Ain Shams University.
- [14] Shahmiri, Azadeh, (2009). *Postcolonial Theory and Criticism*, 1st Edition. Tehran: Scientific Publications.
- [15] Shamnad, (2016). A Indian Theorist of Postcolonial Discourse, *Scientific and Cultural Magazine*, No. 1, Pp. 1-208.
- [16] Al-Arif, Khaled, (2014). 'The third space in the novels of Vesini al-Araj: Crossing the borders and rewriting', *Journal of Taba'in*, Vol. 14, Pp. 165-186.
- [17] Ashour, Radavi, (2001). *Granada Trilogy*, 3rd Edition, Cairo: Al-Shurouq Publication.
- [18] Awdat Zorub, Sabiha, (2021). Techniques of temporal narrative in the historical novel "Granatha Trilogy by Radwa Ashour as an example", *Al-Zitouneh University Journal*, Jordan, Pp. 3-26.
- [19] Fatehi, Hassan and Framarz Mirzai and Bibi Raheel San Sabli, (2015). Post-colonial reading of the migration experience in the novel "Lolita's Fingers" by Vasini Al-Araj from the perspective of Homi Bhabha, *Arabic Literary Criticism*, No. 1, Pp. 171-198.
- [20] Fatehi, Hassan and Bibi Raheel San Sabli, (2016). Investigation of post-colonial identity in the novel "Kingdom of Al-Farasha" by Vasini Al-Araj based on Homi Bhabha's point of view, *Mobin Literary Journal*, No. 28, Pp. 129-155.
- [21] Mahmoud Obeidat, Zuhair, (2006). 'Granada Trilogy: an approach to the present, a research on novelist Radwa Ashour', *Humanity and Social Sciences*, No. 3, Pp. 519-606.
- [22] Makhoulouf, Omar, (2016). Manifestations of Time in Granada by Radwa Ashour, *Annals of Literature and Languages*, Pp. 412-427.
- [23] Muslim, Soumia, (2014). The Poetics of Description in the Granada Trilogy Novel by Radwa Ashour, (2014), master's thesis at Umm El-Bouaghi University.

- [24] Mostafa, Ibrahim and Ahmed Hassan Al-Zayyat, Hamid Abdel-Qader and Muhammad Ali Al-Najjar (1989). *The Intermediate Lexicon*, Istanbul: Dar Al-Da`wa.
- [25] Morton, Stephan (2012). *Gayatri Chakravorty Spivak*, translated by: Najma Ghabi, Tehran: Bidgol.
- [26] Mirzaei, Faramarz, Bushra Jazairi Rad, Khalil Parwini, and Hadi Nazari Munazzam, (1397). Identity Schizophrenia between oppressive femininity and oppressed manhood: a postcolonial reading in the novel "The French Perfume" by Amir Taj Al-Sir, *Studies in Arabic Language and Literature*, Issue 27, Pp. 85-104
- [27] Namur Motlat, Bahman, (2008). An Introduction to Imagery, *Comparative Literature Studies*, No. 12, Pp. 119-138.
- [28] Nekobakht, Nasir, Hanan Muhammad Musa Tahoun, Gholamhossein Gholamhosseinzadeh and Kubra Roshenfikar, (2012). The Egyptian girl in the novel "The Open Door" (a study in the narrative structure), *Journal of Studies in Human Sciences*, No. 19, Pp. 119-147.
- [29] Varzandeh, Omid and Seyed Reza Ebrahimi, (2011). The identity of the oriental immigrant woman in the works of Jhumpa Lahiri and Mehranush Mazhari from the perspective of Homi Bhabha, *Al Farsi Literature Magazine*, 11, Pp. 160-189.
- [30] Bhabha. H. K., (1994). *The Location of Culture*. London: Routledge Classics.
- [31] Spivak, G.C., (1988). 'Can the Subaltern Speak?' in Cary Nelson and Lawrence Grossberg (ed) *Marxism and the Interpretation of Culture*, London: Macmillan, Pp. 271-313.

Examining the identity of “Hybrids” and "Subaltern” in the Novel *Granada Trilogy* by Radwa Ashour Based on the Theories of Homi Bhabha and Spivak

Ali Akbar Mollaei^{1*}, Samira Heidari Rad²

1. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Vali-e-Asr University, Rafsanjan, Iran.

2. PhD Student, Department of Arabic Language and Literature, Yazd University, Iran.

Abstract

Postcolonial literature is one of the new critical fields that was found in the 1950s and peaked in the late 1970s. One of the most important features of this type of literature is its focus on the colonized, which brings to mind the various manifestations of colonialism. The identity of hybrid and subaltern is one of the main concepts of post-colonial research. In his novel, Radwa Ashour's attention to the challenge between “me” and “other”, the phenomenon of hybridity and identity crisis as well as the conflict of nationals with two-way colonialism, shows the resistance of this pioneer writer against colonialism in the literary form. First of all, the main purpose of this research is to get acquainted with the author's ideology regarding post-colonial issues as well as his fictional works. The research method, criticism and analysis of *Granada Trilogy* written by Ashour which is based on views of two prominent theorists in the field of post-colonial literature, namely Homi Bhabha and Spivak. The article is based on the assumption that there is a two-way connection between the novel “Granada Trilogy” and post-colonial theories. Although the time gap between the events of this novel and the emergence of this theory is long, it seems that it exemplifies the principles of Homi Bhabha and Spivak. According to the research, cultural conflicts eventually lead to the emergence of a "hybrid" identity, which is in the heart of phenomena such as: "rejection", acceptance, dispersion and imitation. Therefore, in the novel, we see that following the mixing and bonding of Arabs and Gestalts and the emergence of hybrid generations, the pidgin language is spread. Citizens also do not have a fixed identity and undergo transformation according to the existing social conditions.

Keywords: Post-Colonial Literature; Identity; Hybrids; Subaltern; Historical Novel; Granada Trilogy; Radwa Ashour.

*Email: a.mollaie@vru.ac.ir

بررسی هویت «دورگه‌ها» و «فروdstان» در رمان «سه گانه گراناا» از رضوی عاشور بر پایه نظریات هومی بابا و اسپیواک

علی اکبر ملایی^۱، سمیرا حیدری راد

۱- استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه ولی عصر رفسنجان (عج)، رفسنجان، ایران.

۲- دانشجوی دکتری گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه یزد، یزد، ایران:

چکیده

ادبیات پسااستعماری از میدان‌های نقدی نوین است که در دهه پنجاه قرن بیستم پیدا شد و در اواخر دهه هفتاد اوج گرفت. از مهم‌ترین ویژگی‌های این نوع ادبی، تمرکز آن بر ادبیات استعمارشدگان است که جلوه‌های گوناگون استعمار را فریاد می‌آورد. هویت دورگه‌ها و فروdstان، از مفاهیم اصلی پژوهش‌های پسااستعماری است. توجه رضوی عاشور در رمان خود، به چالش بین من و دیگری، پدیده دورگه بودن و بحران هویت و درگیری اتباع با استعمار دوسویه، مقاومت این نویسنده فرهیخته را بر ضد استعمار در قالب ادبیات، نمایش می‌دهد. باری مقصود اساسی از طرح این تحقیق، آشنا شدن با ایدئولوژی نویسنده در زمینه موضوعات پسااستعماری ضمن آثار داستانی اوست. روش تحقیق، نقد و تحلیل رمان سه‌گانه گراناا نوشته رضوی عاشور، بر پایه دیدگاه‌های پسااستعماری دو نظریه‌پرداز برجسته در حوزه ادبیات پسااستعماری یعنی هومی بابا و اسپیواک است. نوشتار بر این فرض استوار است که پیوندی دوسویه بین رمان سه‌گانه گراناا و نظریات پسااستعماری برقرار است. هرچند فاصله زمانی بین رویدادهای این رمان و پیدایش این نظریه، بسیار است، با این حال به نظر می‌رسد که اصول نظری هومی بابا و اسپیواک را مصداق می‌بخشد. به گواهی پژوهش، درگیری‌های فرهنگی در نهایت به پیدایش هویتی «دورگه» می‌انجامد که در بطن پدیده‌هایی چون: «طرد شدگی»، پذیرش یافتن، پراکندگی و تقلید، سر بر می‌کشد. از این روی در رمان، شاهد هستیم که به دنبال آمیزش و پیوند عرب و گشتالی‌ها و پیدایش نسل‌های دورگه، زبان بیدجین (pidgins) رواج می‌یابد. رضوی عاشور با نظر اسپیواک مبنی بر اینکه فروdst در صورتی امکان صحبت دارد که فرصت آن از جانب جامعه استعمار زده و مردسالارانه فراهم شود هم عقیده می‌باشد.

واژگان کلیدی: ادبیات پسا استعماری، هویت، دورگه، فروdst، رمان تاریخی، سه گانه گراناا (تریولوژی)، رضوی عاشور

Email: a.mollaie@vru.ac.ir

* نویسنده مسئول: